الازدواج اللغوي في المنظومة التربوية الجزائرية
-صراع بين اللغة العربية الفصحى والعامية-

Bilingualism in the Algerian educational system
-Conflict between classical and colloquial Arabic-

الدكتورة: سهام داودي

جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، الجزائر

daoudisiham36@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/20 تاريخ القبول: 2022/03/27 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص:

تسعى هذه المقاربة لتسليط الضوء حول واقع اللغة العربية في المؤسسات التربوية، وصراعاتها الدائمة مع العامية ما ينتج عنها في الأخير ما يسمى بـ **"الازدواج اللغوي"** لدى الفرد ولا بد بأي حال من الأحوال أن تكون هناك عنانة شاملة ومفروضة باللغة العربية الفصحى باعتبارها مقوما أساسيا من مقومات الهوية العربية ولاسيما الجزائرية، في ظل هذا التعدد اللساني، وتراحم لأنظم اللسانية، وغزوهما وتفشيها في المجتمعات العربية.

كلمات مفتاحية: الازدواج اللغوي، الفصحى، العامية، المنظومة التربوية.

Abstract:

This approach seeks to shed light on the reality of the Arabic language in educational institutions, and its permanent conflicts with the vernacular, which ultimately results in the so-called “dual language” of the individual. An essential component of the Arab identity, especially the Algerian one, in light of this linguistic plurality, the sympathy of the linguistic systems, and their invasion and spread in Arab societies.

Keywords: Bilingualism; classical; colloquial; educational system.

1-مقدمة:

حددنا سلفا موضوع هذه الدراسة واختصاره على اللغة العربية الفصحى والعامية، باعتبار هذه الأخيرة اللغة الطاغية في حياتنا اليومية وتأثيرها المباشر والغير المباشر في كلامنا اليومي والعلمي والأدبي والمؤسساتي، ولهذا لابد أن ندق ناقوس الخطر أن نحفظ ماء وجه اللغة العربية الفصحى في مؤسساتنا خاصة التربوية.

وعليه سنسير وفق خطة ممنهجة سلفا ألا وهي:

- تعريف اللغة / اللغة العربية الفصيحة والعامية.
- التعدد اللغوي وأشكاله: الثنائية واللغوية.
- مظاهر الصراع: في المؤسسات التربوية / الجامعات.
- أسبابه.
- الحلول المقترحة.

2-اللغة:

اللغة مظهر من مظاهر الفكر والبحث، تعددت تعريفاتها عند القدماء والمحدثين وكل عرفها بحسب وجهة نظره، ولعل أشهر تعريف لها تعريف ابن جني: **" حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم على أغراضهم "**[1]، فهي وسيلة للتعبير عما يختلج في النفس، وهي أيضا أداة للتفاهم والتجاوب والتواصل الاجتماعي فهي **" ظاهرة اجتماعية مؤلفة من الكلمات والجمل ذات المفاهيم الدالة، والتي تحمل الأفكار والمشاعر وردود الأفعال"**، كما نجدها مكللة ومعززة بمشحونات فكرية وثقافية، ولطالما وضعت **"بمرآة الشعب ومستودع تراثه وسجل مطامحه وأحلامه، ومفتاح أفكاره وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي، وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده "**[2]

أما اللغة العربية الفصحى فهي لغة الدين الإسلامي **"القرآن الكريم"**، فمعرفتها أساسية وإجبارية فيما يخص التعاليم الإسلامية ومقتضيات التخصص بعلوم الشريعة

والفقه كما "**أن اللغة العربية هي لغة التعليم في كل مراحل النظام التربوي مثلما هي شرط إجباري لفتح المدارس الخاصة وهي لغة العمل في عديد من القطاعات ومنذ السبعينات**"[3]

3-خصائص اللغة العربية:

يضيف **محمد العربي ولد خليفة** في تحديده لبعض من خصائصها ومميزاتها " **أنّ اللغة العربية من أقدم اللغات المنطوقة والمكتوبة في العالم وأثراها ة معجما وتراثا، فقد حافظت على قاموسها العام وحظيت في وقت مبكر بالاستقراء والتوظيف ولتصنيف والتقعيد العلمي، مما أعطاها مطاوعة وقابلية غير محدودة للنحت والاشتقاق والعربية أيضا لغة متداولة في القارات الخمس بينما يزيد على مليار وثلاث مائة مليون من المسلمين في شعائرهم الدينية، وهي لغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة واليونسكو منذ خمس وثلاثين عاما بفضل مسعى الجزائر والدول العربية الشقيقة** "[4]

كما أنّ اللغة العربية لغة مسايرة للعلم بالرغم من بنيتها الشعرية، وهذا ما أكده **صالح بلعيد** حيث يقول "**... ومع هذا لا يجب أن نسابق الواقع بأن نخفي عن اللغة العربية غناها في مجال الشعر والكتابة الفنية باعتبارها لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية ومسايرتها العلمية الجادة عند علماء القرون الأولى، وبعدها الآن عن الواقع في مجالاته العلمية** ".[5]

4-الفصحى والعامية

أنّ مصطلح الفصحى أو اللغة الفصحى " هي ذلك المستوى الكلامي الذي له صفة رسمية والذي يستعمله المتعلمون تعليما راقيا، مثل لغة الملك أو الملكة في بريطانيا وغالبا ما تكون اللغة المعيارية في أول الأمر لهجة محلية، تنال شيئا من التقديس والتمجيد، ويعترف بها كلغة رسمية بسبب من الأسباب كأن تكون لهجة منطقة من البلد اتخذت مقررا للحكم مثل" **الفرنسية الباريسية** " أو لهجة مجموعة من الناس أصبح لهم

سيطرة عسكرية مثل " **القشتالية الإسبانية** " أو لهجة منطقة زعامة أدبية مثل " **التوسكانية في إيطاليا** ".[6]

وبهذا الطرح نستطيع القول: إن العربية ليست لغة شعر وإبداع وتركيب بل تتعدى حدودها ذلك وتعتنق الممارسات العلمية فهي لغة مطاوعة، لغة بحث وتحليل وتنقيب في جل العلوم الإنسانية والاجتماعية والتاريخية...الخ.

وحقيقة الأمر هو أنّ الصراع القائم الآن هو" ظهور دعوات تدعوا إلى ترك العربية بدعوة أنها ليست لغة علم إلى جانب فرض لغات أجنبية على البلدان العربية، باعتبارها لغات علم، وهذه حقيقية لا مراء فيها لما نشهده من نقائص على مستوى لغتنا العربية "[7] ومن بين هذه النقائص التنمية اللغوية في اللغات الأجنبية وتتضمن عمليات التحديث في اللغات الأجنبية وتتضمن عمليات التحديث في اللغات الأجنبية في اللحاق بالجماعة العالمية من اللغات التي تزيد النقل بينها والمعترف بها بوصفها أدوات مناسبة للأشكال الحديثة والتخطيط اللغوي " **صنع المعاجم** "[8]

أما العامية فهي لغة الحكي اليومية وهي اللغة المحكية أو" اللغة الدارجة " وينعتونها اللغة العامة كما ترصد اختلافات متباينة بينها وبين اللغة الرسمية في بنيتها الصوتية والأداء النطقي وسميت باللغة الدارجة " **لأن الناس في مجتمعهم درجوا على توظيفها واعتادوا على استعمالها دون غيرها في أغلب الأعم وهي عاميّة لأنها أسلوب العوام، أملا أنها العامية لأنها الأكثر توظيفا وانتشارا** "[9]

بين الناس وفي التواصل اليومي وتلبية لحاجياتهم فهي لغة البيوت والشوارع والأزقة والأسواق، كما تستعمل أيضا " **فهي مجال الآداب الشفوية الشعبية من رجل وأمثال وألغاز وحكايات** "[10]

فهي لغة العامة يتقنها الصغير والكبير، الأمي والمتعلم، تقترن بكل الأحاديث غير الرسمية، لغة مباشرة تلبي الحاجيات اليومية الإنسانية، فهي لغة كل الفئات الاجتماعية، كما تتفرع بدورها إلى لهجات محلية عبر الوطن الواحد بحكم المواقع الجغرافية ومؤثرات خارجية أخرى " **ونشوء العامية وشيوعها ما هو إلا مظهر من مظاهر الجنوح إلى لغة**

حقيقية مرنة لا يستطيع نحوي أن يقول للناطق بها أنك لحنت لأنّ العامية لا تعترف بسلطة النحويين "[11]

فهي تتجاوز حدود القاعدة النحوية ولا سلطة لها قهرية تجبر المتكلم أن يلتزم بها ومن خصائصها أيضا خلوها من الألفاظ العويصة " **الوحشية والحوشية** " سهلة التداول بين الناس، وهذا ما يزيد في رفعة انتشارها وتلازمها.

البيئة الكلامية وخاصة المجال الشفوي المعتمد خارج نطاق المؤسسات التربوية والرسمية.

وفيما يخص العامية الجزائرية تحوي لهجات جزائرية متعددة ومتداولة عبر ربوع الوطن، ويصرف النظر " عن تعدد مستوياتها تبعا لتعدد مستويات المتكلمين حسب مراكزهم وثقافة مهنهم، فإنها ليست قريبة من الفصحى بل هي مركز ذخيرة لها وحسب تقديرنا أنّ الكم الفصيح لا يقل فيها على 90%، وما هو نقي ونظيف فصاحة أكثر نسبة مما هو مشوه، والنقاوة نجدها في البنيات الإفرادية للكلمات أما المشوه فيلاحظ في اللواحق والسوابق والقواعد النحوية والتحقيق الصوتي "[12]، خاصة إذا ما قورن باللغة الرسمية " الرفيعة " أي اللغة الفصحى وهذا ما يقضي بنا الحديث عن الازدواجية اللغوية " باعتبار هذه الأخيرة هي " استعمال مستويين لغويين خلال عملية الاتصال، أحدهما متعلق بما يدعى اللغة الرفيعة والآخر لغة ركيكة "[13]

5-الازدواجية اللغوية

"لم يظهر مصطلح الازدواجية اللغوية diglossie" في أدبيات اللسانيات إلا في عام 1959 حيث استخدم اللساني الأمريكي " شارل فرغيسون " charles fergason " هذا المصطلح المأخوذ من اللغة الإغريقية سوى الثنائية اللغوية فإنه يكتسب عند فيرغسون معنى أدق من ذلك... على أنها العلاقة الثابتة بين ضربين لغويين بديلين ينتميان إلى أصل أجنبي واحد أحدهما راقي والأخر وضيع **" كالعربية الفصحى والعاميات والإغريقية الشعبية الحديثة والإغريقية المهذبة الصافية "** [14]

فالتعدد اللغوي ظاهرة منتشرة، تشهدها جل المجتمعات فاللغات في صراع دائم واحتكاك بائن مثلها مثل البشر، تحاول الأخرى أن تفرض جبروتها على الأخرى، والبقاء للأقوى والأجدر، وما نتج عن هذا التصادم والاحتدام اللغوي ظاهرتين بارزتين هما: الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية فالأولى هي وجود لغتين أو أكثر تتعايشان، أو هي " **الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية، لغتين مختلفتين** "[15]

فهي اكتساب الفرد لغتين أو أكثر كلغات أم وهناك عدّة أسباب تؤدي إلى هذه المزاوجة منها ما هو نفسي واجتماعي ثقافي واقتصادي سياسي... الخ.

الفرق البائن بين المصطلحين هو أن الازدواجية تجسد العلاقة بين اللغة ولهجاتها المحلية في حين أنّ الثنائية اللغوية تمثل علاقة اللغة بلغة أخرى " في الاستعمال والتناوب " **وما يهمنا في بحثنا هذا الازدواجية اللغوية المتمثلة في التعايش أو الصراع والاحتدام بين العاميات واللغة العربية الفصحى في المنظومة التربوية** "[16]

6-واقع الصراع بين الفصحى والعامية في المنظومة التربوية:

مظاهر الصراع بين اللغة العربية الفصحى والعامية في المنظومة التربوية، يقضي بنا الحديث عن الواقع اللغوي في الجزائر فهي مهيمنة العاميات الجزائرية اللهجات المتعددة على الممارسات الكلامية أما اللغة العربية الفصيحة نستعملها أقلية من المثقفين ونوي التخصص وفي الخطابات الرسمية ولغة الإعلام والصحافة وفي المؤسسات التربوية التعليمية بدء بالمدرسة وصولا للجامعة ولا ننفي في خضم هذا التداخل نجد اللغة الفرنسية وتسلسلها للسان الجزائري بحكم أسباب عديدة جعلتها تتشابك وتتداخل مع لغتنا اليومية وغزوها لكلامنا الشفوي مثال ذلك ستيل وطابلة سرفيات كأي...الخ.

وأحيانا يوظف المعلم العامية في التقديم ودروسه وتعزيز الفهم وتقريب الأفكار لذهن المتعلم "التلميذ "خاصة الطفل الذي يجد صعوبة بالحديث بلغة عربية فصيحة سليمة لأنه اعتاد على العامية واستأنس بها وبأصواتها وتراكيبها فهي لغة الاستعمال اليومي وهذا ما يجعله في مواضع ارتباك أحيانا بربط الصورة خاصة بمسمياتها بالغة

العامية وعليه لابد من توخي الحذر في تقديم المعطيات اللغوية الجديدة **"اللغة العربية الفصحى "** تدريجيا وبطرق ذكية لطفل وتكرارها بدء بالمستوى الصوتي باعتبارها المستويات في المراحل الأولى وصولا إلى المستويات التركيبية والدلالية...

كما نحرص أيضا على الاستعمال فاللغة وضع واستعمال "وتحيى وتنم وبالاستعمال وهو المعيار الذي تفرض فيه اللغة عنفوانها العارم وبالاستعمال تتصل رسالة التشغيل الكامل الذي يصير ما في الوجود ممكنا فمن أفات اللغة العربية عدم استعمالها "[17] ولهذا لا ينصاغ المعلم ويكون مطوعا للغة العامية، ولهذا لا ينصاغ المعلم ويكون مطوعا للغة العامية، فالأخرى أن يلتزم بالغة العربية الفصيحة داخل القسم وخارجه فالمدرسة الجزائرية تنتهج وتعتنق اللغة الفصحى، كلما يكون المعلم قدوة للطفل (التلميذ) ومحاكاته لأقواله وأفعاله...وهناك من يتهم اللغة العربية الفصيحة بقواعدها الصارمة وتراكيبها المتعددة وهذا ما يجعلها صعبة التعلم والفهم ففي الحقيقة هذا حكم جائر وتعسفي وقد يكون هذا الشأن جدار حائلا دون تعلم العربية ونشرها "[18]

أما في الجامعات نجد أن اللغات الدارجة منتشرة بين الطلبة وبشكل واضح وكبير وهي "مزيج من الفرنسية والفصحى والدارجة"[19] فمثلا حتى في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ولاجتماعية ولاسيما قسم اللغة العربية وآدابها نجد الطالب عاجز أن يسترسل إجاباته بلغة عربية فصيحة سليمة، فكلامه الشفوي داخل حجرات التدريس يستدعي العامية أحيانا والفرنسية أحيانا أخرى يعجز عن الكلام ويركن للصمت خاصة إذا طلب منه الأستاذ أن يتحدث بلغة الضاد باعتبار الطالب اللغة العربية نموذجا يقتدي به في ميدانه وتخصصه اللغوي وهناك من يبرر هذا الوضع المترهل بان الجامعات تضم اختصاصات متعددة تقنية، علمية، فيزيائية ولا تستطيع العربية أن ترقى إلى هذا المستوى العلمي والفكري باعتبارها لغة أدبية إبداعية تخص مجال النثر والشعر لا مجال العلم، أي بصيغة أخرى ليست لغة علمية وهذا من أهم الأسباب التي تهدما وتجهضها مما يسمح للغة العامية والفرنسية بالانتشار الكبير في الحرم الجامعي الجزائري.

7-خاتمة:

خلاصة القول: إن اللغة العربية تعاني في صمت، وهي محاضرة بين العاميات والفرنسية المنتشرة في أوساط المجتمع الجزائري ولاسيما المجتمعات العربية، وظلت تستعمل من طرف النخبة والمثقفين، الذين يعتزون باللسان العربي لغة القران الكريم ولا تنسى أن العربية هي أساسية في بناء الهوية الجزائرية، ولعل المنظومة التربوية التعليمة الجامعات إعادة النظر ووضع مخططات جديدة وممنهجة لتحصل الطفل (التلميذ) في كمراحله الولي الابتدائية تحصلا لا باس به في اللغة العربية الفصحى وتستخدم جملة من الحلول نذكرها كالتالي:

-الاعتزاز باللغة العربية الفصحى، وعدم تهميشها في المجتمع الجزائري (فهي لغة رسمية – لغة الدين...)

-تدريب الطفل (التلميذ) على الكلام باللغة الفصحى داخل الأقسام وخارجها وهنا يمكن دور المدرسة الابتدائية.

-أنشاء معاجم متخصصة سهلة التداول والاستعمال (عند التلاميذ – الطلاب) معجم الطلاب.

-تحفيز الأطفال (التلاميذ) على المطالعة والقراءة كتب تربوية، تثقيفية بلغة العربية الفصحى.

- اقتحام اللغة العربية في المجالات التقنية والرياضة والعلمية فهي تساير المعطى العلمي والفكري وهذا ما أكده البيروني " لان اهجي بالعربية خير لي من أن امدح بالفارسية "[20]

وهذا ما نلمسه في الجامعة السورية نشأت تعريب مواد العلوم والهندسة والطب بالعربية (تدريجيا) كذلك كتابات ابن سينا مؤلفاته الطبية والفلسفية كتبت بالعربية ومؤلفاته العاطفية بالفارسية.

-تعزيز مجالات اللغة العربية في المراحل الأولى للنمو اللغوي عند الطفل (البيت، المجتمع، الروضة...)

هذه جملة من الحلول المقترحة لحفظ ماء وجه لغة الضاد وانقضاها خاصة في المجتمع الجزائري فهي تعاني التهميش والعزلة وتصارع في صمت.

8-قائمة المصادر والمراجع:

– أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على التجار، دار الهدى للنشر، بيروت 1952، ط1.

– بشر كمال، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ط3.

– الهنساوي حسام، العربية الفصحى ولهجاتها، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2004.

– صالح بالعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ط4.

– لويس جان كايفي، حرب اللغات واللسانيات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، بيروت، 2008، ط01.

– مادن سهام، بين الفصحى والعامية –دراسة مقارنة للتراكيب اللغة، الجزائر، 1996.

– المجلس الأعلى للغة العربية، مستقبل اللغة العربية في السوق اللغات، منشورات المجلس 2009، كلمة: السيد الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.

– مجموعة مؤلفين، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.

– عمر عروي، اللغة العربية وأزمة الهوية في ظل التعدد اللساني في الجزائر، مجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد، 11، جانفي 2015، جامعة باجي مختار، عنابة.

– الموسي نهاد، قضية التحول إلى الفصحى، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، 1987.

– ميشال زكريا، قضايا السنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992، ط01.

9-هوامش البحث:

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على التجار، دار الهدى للنشر، بيروت 1952، ط1، ج1، ص 33.

[2] صالح بالعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ط4، ص 50.

[3] ينظر عمر عروي، اللغة العربية وأزمة الهوية في ظل التعدد اللساني في الجزائر، مجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد 11، جانفي 2015، ص 242، 263.

[4] المجلس الأعلى للغة العربية، مستقبل اللغة العربية في السوق اللغات، منشورات المجلس 2009، كلمة: السيد الدكتور محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية ص 16.

[5] المرجع نفسه، ص 19.

[6] صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص 02.

[7] البهنساوي حسام، العربية الفصحى ولهجاتها، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2004، ص 06.

[8] صالح بالعيد، اللغة العربية العلمية، ص 03.

[9] ينظر المرجع نفسه، ص 03.

[10] بشر كمال، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ط3، ص 33.

[11] مجموعة مؤلفين، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 374.

[12] المرجع نفسه، ص 375.

[13] مادن سهام، بين الفصحى والعامية –دراسة مقارنة للتراكيب اللغة، الجزائر، 1996، ص 37.

[14] المرجع نفسه، ص 38، وينظر عمر عروي، اللغة العربية وأزمة الهوية في ظل التعدد اللساني في الجزائر، مجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد، 11، جانفي 2015، جامعة باجي مختار، عنابة، ص 249.

[15] لويس جان كايفي، حرب اللغات واللسانيات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، بيروت، 2008، ط01، ص 78.

[16] ميشال زكريا، قضايا السنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992، ط01، ص 35.

[17] صالح بالعيد، اللغة العربية العلمية، ص 06.

[18] الموسي نهاد، قضية التحول إلى الفصحى، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، 1987، ص 27.

[19] اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد السادس 2001، ص 182.

[20] ينظر صالح بالعيد، اللغة العربية والعلمية، ص 02